تحويل المعنى النحوي المفرد في الأبواب المختلفة

م.م. عواطف أحمد رسن
جامعة البصرة ـ كلية الآداب

أ. د. جاسم صادق غالب
جامعة البصرة ـ كلية الآداب

Journalofstudies2009@gmail.com

الملخص:

الأبواب النحوية المختلفة تلك التي يحصل فيها عدم موافقة اللفظ لأحكام الباب الذي وضعت فيه ، فيحوَّل إلى باب آخر تنطبق عليه الأحكام والمسائل والخصائص التي وضعت له ، ويكون مخالفًا لأحكام الباب الذي حوِّلت منه؛ وذلك لرغبة المتكلم في التوسّع في معاني الألفاظ داخل السياق التركيبي بشرط أنْ تمتلك الألفاظ مرونة التحويل إلى معنى جديد ، ويحصل هذا التحويل بالمخالفة في (الأسماء، والأفعال ، والحروف) ذات المعنى النحوي المفرد. فيحوَّل اللفظ على مستوى الأسماء من معنى العمد وتوابعها إلى معنى الفضلات ، أو من معنى الفضلات إلى معنى العمد وتوابعها ، أو من معنى الفضلات إلى معنى المجرورات وهكذا . ويحصل التحويل من معنى الأسماء إلى معنى الحروف ، أو من معنى الحروف إلى معنى الأفعال وهلم جرًّا .

الكلمات المفتاحية : (التحويل، المعنى النحوي المفرد ، الأبواب النحوية المختلفة).

Converting the singular grammatical meaning into different chapters

Awatef Ahmed Rasen
Basra University – College of Arts

Dr. Jassim Sadiq Ghalib
Basra University – College of Arts

Abstract:

The various grammatical chapters are those in which the word does not agree with the provisions of the chapter in which it was placed, so it is transferred to another chapter to which the provisions, issues and characteristics that were placed for it apply, and it is in violation of the provisions of the chapter from which it was transferred; This is due to the speaker's desire to expand the meanings of the words within the syntactic context, provided that the words have the flexibility of converting to a new meaning, and this conversion occurs in violation of (nouns, verbs, and letters) with a singular grammatical meaning. So the word is transferred at the level of nouns from the meaning of intentions and their attachments to the meaning of waste, or from the meaning of waste to the meaning of intentions and their dependencies, or from the meaning of waste to the meaning of waste, and so

on. The conversion occurs from the meaning of nouns to the meaning of letters, or from the meaning of letters to the meaning of verbs and so on.
Keywords: (conversion, singular grammatical meaning, different grammatical chapters).

التمهيد : حدود مفاهيم البحث

١. تعريف المعنى

عُرِّف بأنَّه " الصّور الذهنية من حيث إنَّه وضع بإزائها الألفاظ ، والصّور الحاصلة في العقل ، فمن حيث إنَّها تقصد باللفظ سُمّيت معنى "[١]. فالجرجاني في تعريفه يرى أهمية التلازم بين (اللفظ ، والمعنى)، فالمعنى لا وجود له دون اللفظ ، ولا وجود للفظ دون المعنى ، فكلاهما مكمل للآخر عنده . فلفظ (الكتاب) مثلًا له معنى أخذه العقل من صورة هذا الشيء (الكتاب) التي جاءت إلى النفس الإنسانية عن طريق العين حتى صار في الذهن (كتاب) له أكثر من مصداق خارجي يصدق عليه ، فهو نتج عن :

١ . مصاديق حقيقية خارجية تصدق عليه ، فهو يصدق على أيٍّ كتاب خارجي .

٢ . صورة حسية بواسطة العين التي جاءت إلى النفس ، واستقرت في الذهن .

٣ . مفهوم كلّي (الصورة الذهنية) .

٤ . لفظ ، وهو (الكتاب) ، المقابل الحسي المنطوق ، لجانب المعنى الخفيّ .

فالمعنى إذًا هو شيء خفي لا ندركه إلا بواسطة العقل ، وصورته متكوّنة في الذهن إزاء الألفاظ ، والأشياء الحسّيّة الموجودة في الخارج ، أو هو ما يقصده المتكلم من كلامه المعبّر عنه بوساطة الألفاظ في الاستعمال الفعلي لها ، والتعريف الاصطلاحي الذي ذُكر للفظة (المعنى) يقترب من المعنى اللغوي لهذه اللفظة من خلال تعريف العلماء لها ، فهما يشتركان في معنى (القصد ، والمراد) الذي يظهر من مكنون ما تضمّنه اللفظ . فضلًا عن الصورة الذهنية للفظ الموجود حقيقة في الخارج ، وهو ما يُعرف بـ (المصداق) ، أي أنَّ الصورة الذهنية للفظ (زيد) الذي هو مفهوم جزئي ، لها مصداق خارجي حقيقي ، وهو شخص زيد المعروف .

٢. تعريف التحويل

عُرّف التحويل بأنَّه " الذهاب بأصل الشيء إلى جهة غيره ، والتحويل هو التغيير "[٢] . أو " هو تحويل جملة إلى أخرى ، أو تركيب إلى آخر ، والجملة المحوَّل عنها هي ما يعرف بالجملة الأصل "[٣] .

وأجد تعريف التحويل الذي ذكره الدكتور عبد الجبار توامي من أهم التعاريف التي تصدق على التحويل في هذه الدراسة ، فعرفه بأنَّه " نقل اللفظ من هيأة أصلية إلى هيأة أخرى ، بقصد تعديل المعنى ، أو تغييره ، وهو قد يكون في صيغة الكلمة ، أو في وظيفتها ، أو في رتبتها ، أو في حركتها الإعرابية "[٤] . فالمتكلم يحوِّل اللفظ من جملة أساسية بسيطة إلى جملة محوَّلة عنها ، بوساطة التغيير من صيغة إلى أخرى ، كتحويل صيغة الفعل المبني للمعلوم إلى صيغة الفعل المبني للمجهول ، أو تحويل في وظيفة الكلمة عندما تنتقل من الفاعل إلى المفعول به ، أو تحويل في الرتبة المتمثلة بتقديم الألفاظ تؤدي إلى تحويل المعنى ، أو تغيير الحركة الإعرابية ، كتحويل المرفوع إلى منصوب المتمثل بتحويل المبتدأ المرفوع إلى اسم إنَّ المنصوب ، أو المجرور إلى منصوب ، وهذا يتمثل بالمنصوب على نزع الخافض .

فالتحويل إذًا هو التغيير الذي يطرأ على الجملة الأساسية البسيطة المجردة عندما يمارس المتكلم سلطته عليها بوساطة العمليات التحويلية المختلفة التي تتمثل بالتقديم والتأخير ، أو الحذف ، أو الزيادة على التركيب ، أو استبدال كلمة بأخرى ينتج عنه تغيّر في الحركة ، أو في وظيفة الكلمات ، فتصبح جملة محوَّلة عنها لها أحكام مختلفة عن الجملة الأولى ، وكلُّ ذلك يخضع لقصد المتكلم ، وإرادته . ومما تقدم نصل إلى أنَّ المعاني اللغوية هي من المعاني المهمة التي يقترب بعضها جدًا من المعنى الاصطلاحي للفظة التحويل فيما يخص هذه الدراسة .

٣. تعريف الباب النحوي

كان النحاة يطلقون لفظ الباب على كلّ ما تركَّب من الألفاظ التي تشكل ذلك الباب ، أو ما يسمّى بـ (الوظائف النحوية) ، كباب المبتدأ الخبر ، وباب الفعل ، والفاعل ، والمفعول ... إلخ . حيث يصرح بذلك في قوله : (هذا باب الفاعل)[٥]. فيتضح من

هذا أنَّ الأبواب هي التي يلج منها المصنِّف إلى المسائل والموضوعات التي يرغب في تناولها. فأبواب من قبيل (المبتدأ ، والخبر ، والفعل ، والفاعل) هي التي تُدخلنا إلى قضايا المبتدأ ، والخبر ، والفعل ، والفاعل ، ومسائل كلّ منهما على نحو ما نجده في المتون النحوية ، ككتاب سيبويه وغيره من المتون التي تناولت المسائل والموضوعات النحوية على هيأة أبواب يولج من خلالها إلى تلك المسائل ؛ لأنَّ النحو قبل مرحلة سيبويه لم يكن له صورة العلم ذي الأبواب ، أو الفصول ، أو القواعد العامة كما اتضحت فيما بعد ، وإنَّما كانت قضايا النحو ومسائله متفرقة لا تجمعها قاعدة ، ولا يضمها باب جامع لها(٦).

القسم الأول : تحويل معنى الأسماء ، وفيه :

أولًا : تحويل معنى الأسماء المرفوعة إلى معنى الأسماء المنصوبة

نحصل على هذا التحويل عندما نلحظ جملة مكونة من المسندين ، وهذه الجملة أساس وأصل (نواة) لأغلبية الجمل المحوَّلة؛ لبساطتها، وتكون النسبة بين هذين المسندين نسبة مطلقة، ثمَّ يعمد المتكلم إلى أنْ يدخل عليها ما يحوِّل في المعاني النحوية لعناصرها على سبيل المثال أفعال القلوب والتحويل ... إلخ التي تعمل على تحويل نسبتها المطلقة إلى نسبة مقيّدة بما في أفعالها من معانٍ خاصة ، ويجيء هذا التحويل على مستوى الأبواب المختلفة . فلوحظ في نحو : " ألا ترى أنَّ ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ ... وذلك أنَّك إذا قلت : عبدُ الله منطلقٌ ، إنْ شئت أدخلت رأيتُ عليه فقلت : رأيتُ عبدَ الله منطلقًا "(٧). إنَّ الجملة الأصلية (عبد الله منطلق) تدلُّ على أنَّ النسبة بين المسندين هي نسبة مطلقة ، فعبد الله مبتدأُ يدلُّ على ذات خارجية معلومة عند المتكلم والمخاطَب ، وهذه الذات اتصفت بالانطلاق ؛ لقيامه به في الواقع الفعلي ، فعبد الله هو المنطلق ، والمنطلق هو عبد الله . فهي صفة متحدة مع وجود عبد الله في الخارج . ولمّا أراد المتكلم أنْ يعلم بتلك النسبة بين المسندين بأنَّها حاصلة فعلًا قال : رأيتُ عبد الله منطلقًا ، فقد أعلم بأنَّ الانطلاق حاصل من عبد الله يقينًا. وبهذا سعى المتكلم إلى تحويل الجملة الأصلية إلى

جملة ثانية بإدخال الفعل (رأى) عليها، الذي عمل على تحويل المبتدأ والخبر إلى مفعولين ، فخرجا من بابهما الأصلي وفقدا الأحكام والخصائص النحوية لهذين البابين ، واكتسبا الأحكام والخصائص النحوية للباب الجديد . فبعد أنْ كان المبتدأ مرفوعًا في صدارة الجملة أصبح مفعولًا أولًا

منصوبًا ، وكذلك الخبر تمّ تحويله إلى المفعول الثاني المنصوب بعد أنْ كان مرفوعًا بعد المبتدأ .

ونحو قولك : " إنَّ اليومَ فيه زيدٌ ذاهبٌ ... وتقول : اليومُ فيه زيدٌ ذاهب ، فترفع بالابتداء "[٨] ، فالأصل في الجملتين هو (اليومُ فيه زيدٌ ذاهبٌ) ، وجملة (إنَّ اليومَ فيه زيدٌ ذاهبٌ) محوَّلة منها ؛ لأنَّ الأصل في الكلام أنْ يرد غير مؤكَّد ، ولمّا جاءت الجملة الثانية مؤكدة بـ (إنَّ) عُدّت محوَّلة لا أصلية . فذهاب زيد اليوم قد يقع فيه الشّك والإنكار عند المتلقي ، فقد لا يذهب اليوم على وجه التحديد ، ولمّا كان هذا الشّك واقعًا في ذهابه اليوم ، أراد المتكلم ما يؤكد هذا الحدث وينفي عنه الشّك والإنكار ، فجاء بما يؤكد ذلك فقــال : إنَّ اليوم فيه زيدٌ ذاهبٌ . فأكّدت ذهاب زيد اليوم ، ونفت عنه الشّك والإنكار ، أي : أنَّ ذهاب زيد اليوم أصبح مؤكدًا .

وجاء تحويل المعنى النحوي في نحو قوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا٣٤ ﴾ [الكهف] ، فـ " مالًا " هنا تمييز نسبة محوَّل عن مبتدأ ، والأصل : مالي أكثر من مالك[٩] . تكون الجملة الأصلية : مالي أكثر من مالك ، على أصل أنَّ المال يكون مبتدأ في الاستعمال اللغوي ، وهذا المال يكون مقيدًا بنسبة محدّدة ، أي أنَّ : مالي المحدّد بنسبة أكثر من مالك المحدد بنسبة أيضًا ، وقد يقتصر على نوع معين من الدراهم أو الذهب أو الفضة أو غيرها . فلمّا أراد المتكلم أنْ يغيّر في المعنى ويجعله أبلغ في التعبير وأشمل حوَّل في مواضع المفردات، فنقل لفظ المال إلى نهاية الكلام في الاستعمال القرآني بعد أنْ كان في الصدارة في الاستعمال اللغوي؛ ليصبح تمييزًا محوَّلًا أعطى الكلام طابعًا مميزًا وبليغًا حينما أصبح استعمالًا آخر ذا معنى مغاير للمعنى الأول. فلفظ المال المبتدأ مقيد بنسبة خلافًا له عندما أصبح تمييزًا محوَّلًا، فصار أبلغ في المعنى من المبتدأ حيث اتسم بالإطلاق عندما جاء لبيان تلك النسبة،

فهو إشارة إلى أنَّ المال مطلق يفصح عن معنى جديد يفيد الشمول والمبالغة بهذا المال الكثير. وبهذا التحويل انتفت العلاقة الإسنادية القائمة بين الاسمين في جملة الأصل ، وصار لفظ المال) معمولًا بعد أن كان عاملًا أُسند إليه الخبر ، وأصبح من العناصر المتممة للجملة بعد أن كان عنصرًا أساسيًا فيها، ومن ثمَّ لزمه التنكير بعد أن كان معرفًا بالإضافة .

وظهر التحويل في القول : هذا الرجلُ منطلقٌ ، حيث يكون لفظ (منطلق) خبرًا، كأنَّك قلت : هذا منطلقٌ، وقولك : هذا الرجلُ منطلقًا يكون لفظ (منطلق) حالًا[١٠]. ففي حالة النصب أراد المتكلم أنْ يُذكّر المخاطَب برجلٍ قد عرفه قبل ذلك ؛ لأنَّ جملة (هذا الرجل منطلقًا) فيها معنى التنبيه والتعريف . وهو في حالة الرفع لا يريد أنْ يذكره بأحد، وإنَّما أشار فقط ، فقال : هذا منطلقٌ[١١] . وعليه حُوِّل المعنى النحوي للفظ (منطلق) من معنى الإخبار إلى معنى الحالية .

ومن تحويل المعنى النحوي ما سُمع عن العرب في نحو : " ضربني وضربتُ قومُك ، والوجه أنْ تقــول : ضربوني وضربتُ قومَك "[١٢] . في الجملة الأولى جاء لفظ قوم فاعلًا للفعل ضربني ، فهو الذي عمل فيه الرفع فصار فاعلًا له ، بمعنى أنَّ هؤلاء القوم هم الذين قاموا بفعل الضرب الذي وقع على المفعول به المعبّر عنه بـ (ياء المتكلم) ، ثمَّ هذا اللفظ نفسه توسّع في معناه النحوي في الاستعمال اللغوي بتحويله إلى معنى جديد مغاير لمعنى الفاعلية ، فقيل : ضربوني وضربتُ قومَك ، فصار مفعولًا به للفعل (ضرب) الثاني الذي عمل فيه النصب . وفي هذه الحال أصبح المعنى مغايرًا للمعنى الأول ، أي : أنَّ فعل الضرب الذي قام به المتكلم المعبّر عنه بـ (تاء الفاعل) قد وقع على هؤلاء القوم بعد أنْ قاموا به بأنفسهم في الجملة الأولى ، فالتحويل واضح من معنى الفاعلية وهو معنى أساس في الجملة إلى معنى المفعولية وهو معنى متمم للجملة . ونستدل على هذا التحويل بما صرّح به ابن السراج في قوله " ألّا ترى أنَّك تقول : حسُنَ زيدٌ ، فإذا أخبرت أنَّ فاعلًا فعل ذلك به ، قلتَ : حسِنَ اللهُ زيدًا ، فصار الفاعل مفعولًا "[١٣] .

ثانيًا : تحويل معنى الأسماء المنصوبة إلى معنى الأسماء المرفوعة

برز هذا التحويل في الاستعمال اللغوي في نحو : زيدًا اضربه ، وزيدٌ اضربه[١٤] . فزيد في الجملة الأولى يكون مفعولًا به وقع عليه فعل الفاعل وهو الضرب ، ثمَّ حوِّل في الجملة الثانية إلى المبتدأ خبره جملة اضربه ، والأصل في الخبر أنْ يكون واقعًا ، فإذا حكمت على شيء تحكم عليه بشيء واقع ، ولا تحكم عليه بشيء لم يقع بعد ، وزيدٌ اضربه هل هو مثل : زيدٌ قائمٌ ؟ ، حيث حكمت على زيد بأنَّه قائم ، والقيام ثابت ، فوصفت زيد بأنَّه قائم ثابت موجود القيام . وأمّا زيدٌ اضربه ، فحكمت عليه بشيء سيقع في المستقبل[١٥] . فواضح من هذا حصول تحويل في لفظ (زيد) من باب المفعول به الذي جاء في صدر الجملة منصوبًا بفعل الضرب المحذوف يفسره الفعل المذكور بعده ، والتقدير : ضربتُ زيدًا ضربته ، إلى باب المبتدأ الذي جاء في صدر الجملة .

ومثله نحو : " ضربتُ زيدًا ، وزيدٌ ضربتُهُ "[١٦] . ففي هاتين الجملتين الفعلية والاسمية تحويل من معنى

المفعولية إلى معنى الابتداء يتجلى في لفظ (زيد) الذي جاء في الجملة الفعلية مفعولًا به وقع عليه فعل الضرب ، والتي أفادت حدوث فعل الضرب في الزمن الماضي ، أي أنَّ : ضرب زيد حصل في الماضي ، ثمَّ حوِّل لفظ (زيد) إلى صدارة الجملة ؛ لتصبح جملة اسمية ابتدأت باسم وهو زيد المبتدأ خبره الجملة الفعلية ، وهذا ما جعلها تدلُّ على التجدّد دون انقطاع ، بمعنى أنَّ حدوث الضرب متجدّد غير منقطع ، فخرجت عن دلالتها على الثبوت والاستقرار ؛ لأنَّ الخبر جاء جملة فعلية .

وتحقّق التحويل في قول سيبويه : " ألا ترى أنَّك تقول : ضربتُ زيدًا ... وتقول : ضُربَ زيدٌ "[١٧] . فالجملة الأولى هي الأصل ؛ لأنَّ الأصل في التركيب أنْ يأتي بلا حذف في عناصره ، وهذا الحذف تجلى في الجملة الثانية الفرعية . فنلحظ أنَّ لفظ (زيد) قد اختلف في المعنى النحوي من المفعولية إلى نائب الفاعل ، فزيد في : ضربتُ زيدًا مفعول به وقع عليه فعل الفاعل المعبّر عنه بـ (تاء الفاعل) وهو الضـرب ، وهذا الضرب حدث في الزمن الماضي وانتهى . وجاء في الجملة الثانية محوَّلًا إلى

نائب الفاعل بعد أنْ عمد المتكلم إلى تغيير صيغة الفعل من (فَعل) إلى (فُعل) فبناه للمجهول ، وأسند الفعل إلى نائب الفاعل بعد حذف الفاعل لغاية يعلمها ، أي : أنَّه معلوم عنده مجهول عند المتلقي ، ثمَّ حوَّل لفظ (زيد) من باب الفضلات (المفعول به) إلى باب العمد الذي يحتاج إليه في الجملة وهو (النائب عن الفاعل) . وذلك في قوله : ضُرب زيدٌ ، فالذي ضرب زيد غير معلوم في الجملة إلا أنَّه معلوم عند المتكلم .

وجيء بمعنى الابتداء محوَّلًا من المفعول المطلق في نحو قولنا : " أمّا زيدًا فجدعًا له ، وأمّا عمرًا فسقيًا له ... ، وتقول : أمّا زيدٌ فسلامٌ عليه ، وأمّا الكافرُ فلعنةُ الله عليه ؛ لأنَّ هذا ارتفع بالابتداء "[١٨] . نرى في هذه الاستعمالات تحويل في المعاني النحوية ، فعدّت (جدعًا ، وسقيًا) مفعولًا مطلقًا ، انتصب بإضمار فعل ، أي : جدعه الله جدعًا ، وسقاه الله سقيًا . ولذا جاء لمعنى المفعولية المطلقة من لفظ الفعل المحذوف ، وهو للدعاء . ولمّا كان الدعاء بغير فعل ، ولا تقدير فعل لم ينتصب المصدر ، وإنَّما يجب رفعه ؛ لعدم وجود ما يفسر الفعل . وبناء على ذلك جاء لفظا (سلام ، ولعنة) مرفوعين ؛ لكونهما لا يفتقران إلى إضمار فعل ، ولا تقدير فعل محذوف ، وهذا ما يفتقر إليه المفعول المطلق في الجملة الأولى ، فهذا تحويل في المعاني النحوية من المفعولية المطلقة إلى الابتداء .

وتجلى تحويل المعنى فيما ورد عن سيبويه في قوله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ١٦٤ ﴾ [الأعراف] ، أي (معذرةٌ) بالرفع ، ولو قال رجلٌ لرجلٍ : معذرةً إلى اللهِ وإليك من كذا وكذا ، يريد اعتذارًا لنصب [١٩] ، على أنَّه مفعول لأجله، أي : وعظناهم لأجل المعذرة ، أو منصوبة على أنَّها مصدر لفعل من لفظ المصدر، أي : نعتذر معذرةً . وقراءة الرفع (معذرةٌ) على أنَّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : موعظتنا معذرةٌ , واختار سيبويه هذا الوجه وقال فيه : أنَّهم " لم يريدوا أنْ يعتذروا اعتذارًا مستأنفًا من أمر ليموا عليه ؛ ولكنَّهم قيل لهم لِمَ تعظون قومًا ؟ ، قالوا : موعظتنا معذرةٌ إلى ربّكم "[٢٠] . فحوّل المعنى من المفعول المطلق أو المفعول لأجله إلى معنى الإخبار .

وللسياق دور كبير في تحويل المعنى ، تجلّى ذلك في قولك : " مررتُ بهم جميعًا وعامّةً وجماعةً ، كأنَّك قلت مررت بهم قيامًا [تكون حالًا] ، وإنَّما فرقنا بين هذا الباب والباب الأول ؛ لأنَّ الجميع وعامة اسمان متصرفان ، تقول : كيف عامتُكم ؟ [تكون مبتدأ] ، وهؤلاء قومٌ جميعٌ [تكون صفة] "[٢١] . لمّا كانت هذه الألفاظ متصرفة حصل تحويل في معناها النحوي بحسب السياق الذي ترد فيه ، فجاءت في السياق الأول حالًا مبينة لهيأة ما قبلها ، أي : كيف مررت بهم ؟ . يكون الجواب : جميعًا وعامةً وجماعةً . فهذه الهيأة التي كان عليها هؤلاء الذين مرَّ بهم . ولمّا عَرف المتكلم هيأتهم أراد أن يعرف عامتهم حوَّل اللفظ إلى معنى الابتداء عندما سأل عن العامة فقال : كيف عامتُكم ؟ فأصبح اللفظ مبتدأ . والفرق بين الجملتين هنا سؤال عن العامة ، وهناك عن هيأتهم ، ثم صرف المتكلم اللفظ عن هذه المعاني ، فقال واصفًا القوم : هؤلاء قومٌ جميعٌ . فـ (جميع) صفة للاسم المتقدم عليه (قوم) ، فقد خصصت وحدّدت أنَّ هؤلاء القوم (جميع) ، بعد أنْ كان حالًا منصوبًا انتقل إلى باب المبتدأ؛ ليكتسب الحكم النحوي لهذا الباب وهو الرفع ، ومثله في باب النعت ، كونه تابعًا لما قبله .

والظروف المتصرفة " تخرج عن الظرفية فتعرب على حسب موقعها من الجملة نحو " يوم " تقول : (هذا يوم مبارك) فـ (هذا) مبتدأ . و(يوم) خبر ، و(مبارك) نعت . ونقول : جئت اليوم . فـ (جئت) فعل وفاعل و (اليوم) ظرف زمان ، فنجد أنَّ " يوم " يكون ظرفًا ويكون غير ظرف "[٢٢] . جاء لفظ (يوم) محوَّلًا عن معنى الظرفية الزمانية إلى معنى الإخبار ، أي : أنَّك أخبرت عن اسم الإشارة باليوم ، وكون أسماء الإشارة من المبهمات جاء توضيحًا وتبيينًا له ، فصار يوم خبرًا لهذا ، ولمّا لم يصح تقدير (في) خرج اللفظ عن أصله ، فلا يجوز أنْ نقول : هذا في يوم مبارك ، وإنَّما يكون المعنى : هذا اليوم هو يوم مبارك ، فأخبرت عن هذا باليوم ووصفته بأنَّه مبارك . وعليه تمّ تحويل اللفظ إلى باب الخبر بعد أنْ كان في باب الظرفية الزمانية .

وحوِّل ظرف الزمان عن أصله في نحو : " صِيم رمضان ، أصله : صام الناس رمضان ... وظرف المكان نحو : جُلِس أمامك ... وكان أصل الجملة " جلس فلان

أمامك "[٢٣] . الأصل في الإنابة عن الفاعل هو المفعول به ، فإنْ لم يكن في الكلام المفعول به أقيم غيره مقامه ، وفي هذا السياق أقيم الظرف المتصرف مقام الفاعل . ولمّا كان الأصل في الكلام أنْ لا يرد فيه الحذف عدّت جملتا (صام الناس رمضان ، وجلس فلان أمامك) جملًا أصلية ، وعلى هذا الأساس يكون (رمضان ، وأمام) ظرفين . وعندما كان الفاعل معروفًا عند المخاطَب ، حوَّل معنى الظرفية الزمانية والمكانية إلى معنى جديد ، فبنى الجملة إلى المجهول بتغيير صيغة الفعل من (صام) إلى (صيم) ، ومن (جَلس) إلى (جُلس) مع حذف الفاعل من كلا الجملتين ، ثم أقام الظرف مقام الفاعل المحذوف (الناس ، وفلان) ؛ لمعرفة المخاطَب بهما، فأصبحت الجملة (صِيم رمضان ، وجُلس أمامُك) بتحويلهما إلى معنى نائب الفاعل.

ثالثًا : تحويل معنى الأسماء المنصوبة إلى معنى الأسماء المجرورة

بني هذا القسم على أساس أنَّ المنصوبات بعد المرفوعات وقبل المجرورات عندما قُسّمت الأبواب النحوية ، ومن ثمَّ قد حوِّلت معاني المنصوبات في الاستعمال اللغوي إلى معاني المجرورات .

عُلم سابقًا أنَّ المتكلمين على اختلافهم قد توسّعوا في معاني الظرفية في الاستعمالات اللغوية ، وجعلوها متصرفة كالأسماء ، وهذا ما أخرجها عن أصولها ، فأُعربت لذلك إعراب الأسماء رفعًا ونصبًا وجرًا بحسب سياقاتها الواردة فيها على نحو ما ذكره سيبويه من أنَّهم " جعلوا ما لا يجري في الكلام إلّا ظرفًا بمنزلة غيره من الأسماء ، وذلك قول المرّار بن سلامة العجلي* :

ولا ينطقُ الفحشاء* من كان منهم إذا جلسوا منّا ولا من سوائنا

وضع سواء موضع غير وأدخل (من) عليها ؛ لأنَّها لا تستعمل في الكلام إلا ظرفًا "[٢٤] . حيث خرجت (سواء) عن الظرفية وجاءت في هذا الاستعمال مجرورة ، والأرجح عدم إدخال (مِنْ) عليها ؛ لأنَّها لا تستعمل إلا ظرفًا ، ولمّا جعلها بمنزلة (غير) أي بمعنى : غيرنا ، أدخل عليها حرف الجر (مِنْ) فأخرجها عن الظرفية . ولذلك قيل : " ما لا يخرج من الظرفية إلا بدخول حرف الجر (مِنْ) نحو : قبل ، وبعد ، وعند ، ولدن ... نحو : جئت من قبل ومن بعد "[٢٥] . فهما في الأصل

ظرفان مبنيان على الضم ، حيث تأتي في سياقات متصرفة تستعمل استعمال غيرها من الأسماء النكرات ، وهي مبهمة لا تتضح إلا بإضافتها . وفي هذا السياق لم يقصد بها معنى الإضافة ، وإنَّما قصد أنَّ زمن المجيء حدث سابقًا ولاحقًا قبل النطق بالفعل ، أي أنَّه أراد هذا اللفظ ، وليس في هذا اللفظ ، ومن ثمَّ جاء اللفظان اسمين مجرورين بـ (مِنْ) الذي أخرجهما عن الظرفية . ونستدلُّ على هذا بقول ابن السراج من أنَّ "حروف الجر إنَّما تدخل على الأسماء لا على الظروف ، فكلُّ منجر بجار عامل فيه فهو اسم "[٢٦] . وعليه حوِّلت هذه الألفاظ عن معنى الظرفية المنصوبة إلى الاسم المجرور .

وتجلى تحويل الظرف في نحو قولك : " يا سارقَ الليلةِ زيدًا الثوبَ ، فتضيف (سارقًا) إلى (الليلة) ، وإنَّما تكون الإضافة إلى الأسماء لا إلى الظروف "[٢٧] . نعلم أنَّ لفظ الليلة تستعمل في باب الظروف ، لكن في هذا الاستعمال جاءت متوسعًا فيها على أنَّها مضاف إليه. فأُضيف إليها السارق ، ولمّا جاءت في سياق الإضافة أصبحت متصرفة كسائر الأسماء ؛ لأنَّ القاعدة النحوية تقول : الإضافة إلى الأسماء لا إلى الظروف ، ولمّا جاءت في هذا السياق محوَّلة عن أصلها الظرفية الزمانية إلى معنى المضاف إليه ؛ لعدم ثبات معنى (في) في الكلام جاز التوسّع في معناها ، حيث أراد هذا الوقت ، أي : هذه الليلة ، وليس في هذه الليلة .

رابعًا : تحويل معنى الأسماء المنصوبة إلى معنى الأسماء المبنية

جاء هذا القسم على أساس أنَّ المعربات أولى في أصل الوضع ، والمبنيات فرع منها . فلوحظت المعربات ومنها باب المنصوبات على التحديد محوَّلة إلى المبنيات في الاستعمال اللغوي ، فجاءت المفعولية المطلقة محوَّلة إلى اسم الفعل الذي هو كلمة تكون مبنية تدلُّ على معنى الفعل، وتعمل عمل الفعل بأنْ ترفع فاعلًا وتنصب مفعولًا إنْ دلّت على فعل متعدّ ؛ لكنَّها لا تقبل علامات الفعل. ولوحظ مثل هذا التحويل في " قولهم : بَلْهَ زيدًا ، إنَّما هو بمنزلة دعْ زيدًا ، ومن قال : بله زيدٍ ، جعله مصدرًا مضافًا إلى المفعول به "[٢٨]. ومثل ذلك نلحظ التحويل في قولهم : رويدَ زيدًا. ورويدَ زيدٍ[٢٩].

الأصلُ في استعمال (بلِه ، ورويـد) أنْ يكونا مصدرين، وهذا راجع إلى سياق استعمالهما، وتجانسهما فيه مع غيرهما من الكلمات . فوضع النحاة قاعدة للحكم على مصدريتهما وتحويلهما إلى اسم الفعل ، وهي (إنْ جاء بعد بله ورويد اسـم مجـرور حكـم بمصدريتهمـا (المفعولية المطلقة) ، وإنْ جاء بعدهما اسم منصوب حكم عليهما باسم الفعل، لذلك عندما يقول : بله زيدٍ ، أي : ترك زيد ، ورويدَ زيدٍ ، أي : إرواد زيد ، كانا مضافين ، وتكون (بله ورويد) حينئذٍ مفعولًا مطلقًا لفعل محذوف ، وما بعدها يكون مضافًا إليه ، وحين يقول : بله زيدًا ، ورويد زيدًا ، فتـكون (بلـه ورويد) حينئذٍ اسم فعل أمر مبني بمعنى (اترك وأمهل)، أي : اترك زيدًا ، وأمهله. فهذه الألفاظ لمّا كانت مصادر في الأصل، جاءت في الاستعمال اللغوي محوَّلة عن أصلها إلى معنى اسم الفعل .

وهناك ألفاظ في أصل وضعها تستعمل ظروفًا ، وقد يأتي بها المتكلم في سياق آخر محوَّلة عن هذا المعنى إلى معنى جديد في نحو : دونك الكتاب "[٣٠] . نعلم أنَّ أصل (دون) هو ظرف مكان له من المعاني المختلفة ، بحسب السياق التركيبي الذي يأتي فيه . فجملة (دونك الكتاب) محوَّلة عن أصل الظرفية المكانية ، أي : (الكتاب دونك) . فوظفت دون للظرفية المكانية بمعنى أمام ، أي : الكتاب أمامـك . أمَّا في القول : دونك الكتاب . فدون هنا محوَّلة عن معنى الظرفية المكانية إلى اسم فعـل الأمـر بمعنى (خذ) ، ومعنى الجملة : خذ الكتابَ .

خامسًا : تحويل معنى الأسماء المجرورة إلى معنى الأسماء المرفوعة

يحدث التحويل في هذا القسم على أساس الأبواب المجرورة القسم الثالث من أقسام إعراب الأسماء بعد المرفوعات والمنصوبات ، وفيه يتمّ تحويل الألفاظ من باب المجرورات إلى باب المرفوعات على أساس أنَّ المرفوعات هي القسم الأول من أقسام الإعراب ، وهي العمد وتوابعها .

وتحقّق تحويل المعنى النحوي في نحـو قـول الله سبحـانه : ﴿ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ٧٠ ﴾ [الأنعام] ففي هذا الاستعمال القرآني نلحظ تحويل لفظ (منها) من باب المجرورات إلـى بـاب المرفوعـات[٣١] ، فحدث هذا التحويل من الجار

والمجرور؛ لعدم وجود المفعول به في سياق الآية مع وجود الجار والمجرور الذي ناب عنه ، فحوِّل إلى هذا المعنى الجديد من خلال بناء الفعل المضارع للمجهول من صيغة (يَفعل) إلى صيغة (يُفعل = يُؤخذ) . فلما قال " ﴿ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ أراد " لا يؤخذ منهـا ما تعـدلُ به ، فقولـه : (منها) هو نائب الفاعل ليؤخذ ، وليس في (يؤخذ) ضمير العدل ؛ لأنَّ العدل هنا بمعنى المصدر ، فلا يُسند إليه الأخذ . فقد نزَّل فعل الأخذ منزلة اللازم ، ولم يقدر له مفعول كأنَّه قيل : لا يؤخذ منها أخذ ، والمعنى : لا يؤخذ منها شيء "[٣٢]. فيتضح من هذا السياق تحويل (منها) من معنى الجار والمجرور إلى معنى نائب الفاعل .

سادسًا : تحويل معنى الأسماء المجرورة إلى معنى الأسماء المنصوبة

بُنيَّ هذا القسم على أساس أنَّ الألفاظ في الأبواب المجرورة يتم تحويلها إلى الأبواب المنصوبة ، وهذه المنصوبات هي القسم الثاني من أقسام الأسماء المعربة بعد المرفوعات .

وردت هذه التحويلات في نحو قولهم " تكون (أيّ) صفة إذا وقعت بعد نكرة ، كقولك : مررتُ برجلٍ أيِّ رجل !، وتكون حالًا إذا وقعت بعد معرفة، كقولك : لله درُّ زيدٍ أيَّ رجل ! "[٣٣]. تعدّ (أي) من الألفاظ المحوَّلة من معنى إلى آخر، بحسب السياق التركيبي لها بمعية الكلمات الأخرى ، فجاءت في السيـاق الأول : مررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ ! ، كمالية للتعجب والمبالغة في مدح هذا الرجل، أي أنَّ هذا الرجل قد بلغ الكمال في الرجولة، وتعدّ (أيّ) صفة للموصوف بها النكرة لفظ (رجل) الذي يدلُّ على العموم ، أي : كلّ رجل ؛ لذلك صارت (أي) صفة " مجرورة مثل [الموصوف] ؛ لأنَّهما كالاسم الواحد ، وإنَّما صارا كالاسم الواحد من قبل أنَّك ... أردت الواحد من الرجال الذين كلّ واحد منهم رجل . فهو نكرة ، وإنَّما كان نكرة ؛ لأنَّه من أمّة كلّها له مثل اسمه ؛ وذلك أنَّ الرجال كلّ واحد منهم رجل ... فاسمه يخلطه بأمّته حتى لا يعرفَ منها "[٣٤] ، وهذه الصفة جاءت في سياق آخر محوَّلة إلى الحال ، نحو : لله درُّ زيدٍ أيَّ رجل ! . فـ (أيّ) هنا جاءت بعد اسم معرفة حالية مُبيّنة حال زيد من الرجال ، وهذه الجملة تختلف عن سابقتها ؛ لأنَّ فيها معنى التخصيص المُكتسب من الاسم

المعرفة (زيد) ، وهذا الاسم بعض من كلّ (الرجال) ، فهو تعجب من حال زيد من بين كلّ الرجال . وعليه تجلّى هذا التحويل في المعنى النحوي لـ (أيّ) من الوصفية إلى معنى الحالية .

و(مع) " اسم بدليل التنوين في قولك : (معًا) ، ودخول الجار في حكاية سيبويه : ذهبتُ من معه ، وقراءة بعضهم : ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ٢٤ ﴾ [الأنبياء] ... وتستعمل مضافة ، فتكون ظرفًا ، نحو : ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ٣٥ ﴾ [محمد] ، ونحو:

أفيقوا بني حربٍ وأهواؤُها معًا وأرماحُنا موصولةٌ لم تَقَضَّبِ "[٣٥]

اختلف النحاة في (مع) ، فبعضهم عدّها حرف جر ، وذهب سيبويه إلى القول بدخول حرف الجر عليها في نحو : ذهبتُ من معه ، ولذلك ألزمها البناء كسائر أخواتها الحروف ، فضلًا عن قراءة بعضهم لقوله تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ﴾ بالجر ، وهذه " المعية في قوله : ﴿ مَنْ مَعِيَ ﴾ معية المتابعة ، أي : من معي من المسلمين ، فهذا ذكر الأمّة التي هي معي ، أي : الذكر المنزّل لأجلكم . فالإضافة من إضافة المصدر إلى مفعوله ، وهم المذكَّرون "[٣٦] ، إلا أنَّها أُعربت في بعض الاستعمالات منصوبة . وهناك من عدّها (ظرفًا مضافًا) بلا خلاف غير متصرف معربًا لازم النصب ، وذلك في الاستعمال القرآني : ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ ، أخبر بها عن الذات المقدَّسة ، أي أنَّ عناية الله سبحانه تعالى ثابتة فيهم ، فهو حافظهم وراعيهم ، وحاضر معهم . وهذه التحويلات في اللفظ ناتجة من مرونته وقدرته على التحويل من معنى إلى آخر ، فضلًا عن القدرة العقلية للمتكلم في تطويعه إلى تلك المعاني المحوَّلة دون الاكتفاء بالمعنى الأصل ، وهذا ما يكسب اللفظ معاني إضافية .

سابعًا : تحويل معنى الأسماء المجرورة إلى معنى الأسماء المبنية

المجرورات هي الألفاظ التي تجرّ إمَّا بحرف جر ، وإمّا بالإضافة ، وإمّا تأتي تابعة للمجرورات ، ولذا طوّعها المتكلم ؛ لتكتسب معنى جديدًا مغايرًا لهذا المعنى الأصلي ، فأخرجها من بابها ، وأدخلها في باب آخر اكتسبت أحكامه وخصائصه ، وفقدت أحكام الباب الأصلي وخصائصه . فبعد أن كانت معربة ألزمها حركة البناء في التحويل .

فلوحظ هذا التحويل في نحو : " عليك زيدًا "[٣٧] . لو رجعنا إلى أصل الوضع للألفاظ نجد أنَّ تركيب (عليك) مكون من (على + كاف الخطاب) ، وعلى هذا الأصل تعدّ (على) حرف جرّ وما بعدها يجر بها ، لذا كان تركيب (عليك) جار ومجرور في أصل الوضع ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ٧٨ ﴾ [ص] . فجاءت (على) بمعنى (اللام) ، أي : لك لعنتي إلى يوم الدين ، فصار الجار والمجرور في هذا الاستعمال القرآني في محل رفع اسم (إنَّ) . ولمّا كانت الكلمات تحت تصرف مستعمليها يتصرفون بها ، عدل المتكلم هنا عن أصل الجار والمجرور. فحوَّله إلى معنى اسم الفعل ، فلما قال : عليك زيدًا ، جعل (عليك) اسم فعل أمر بمعنى (الزم) ، أي : الزم زيدًا . وبناء على ذلك حصل التحويل في معنى اللفظ ، وانتقل من باب المجرورات إلى باب المبنيات .

القسم الثاني : تحويل معنى الأسماء إلى معنى الحروف

يلجأ المتكلم في تعامله مع الألفاظ في الجمل إلى أنْ يفقد اللفظ معناه الأصلي ، ويخرجه من بابه الذي وضع فيه ، ويدخله في باب جديد يأخذ معنى ذلك الباب ، وخصائصه ، ومسائله .

يعدّ التحويل في هذا القسم من التحويلات النادرة التي قد تحصل للألفاظ في الاستعمال اللغوي ، فالذي تمَّ رصده هو أنَّ " مذ ومنذُ كلّ واحدة منهما تصلح أنْ تكون اسمًا رافعًا ، وأنْ تكون حرفًا جارًا... فإذا كان معنى الكلام : بيني وبينه كذا وكذا ، فارفع بهما ، تقول : ما رأيته مذ يومان ، وما زارنا منذُ ليلتان ، فترفع ؛ لأنَّ معنى الكلام بيني وبينه الرؤية يومان ، وبيني وبينه الزيارة ليلتان . وتقول : أنت عندنا منذ اليوم ، وما فارقتنا مذ الليلة ، فتجر ؛ لأنَّ معناه في اليوم والليلة ... لأنَّ العرب استعملتهما على ذلك "[٣٨] . إنَّ الأصل في (منذ ، ومذ) اسمان، وهذا المعنى جاء في : ما رأيته مذ يومان ، وما زارنا منذُ ليلتان ، فالجملتان كلّ واحدة منهما مكونة من جملتين : جملة فعلية تمثلت في الجزء الأول (ما رأيته ، وما زارنا) ، وجملة اسمّية تمثلت في الجزء الثاني (مذ يومان ، ومنذ ليلتان) ، وعليه تكون الرؤية والزيارة متضمنة (مذ ، ومنذ) ، وهو الوقت الذي حصلت فيه الرؤية والزيارة . أمّا عندما

قيل : أنت عندنا منذ اليوم ، وما فارقتنا مـذ الليلــة ، هذا خلاف للجملتين الأوليتين ، فهاتان الجملتان مكونتان من جملة واحدة ؛ لأنَّ (مذ ، ومنذ) عملا الجرّ بما بعدهما ، فتعلقا بما قبلهما ، فذلك اليوم وتلك الليلة هما اللذان حصل فيهما الاستقرار في ذلك المكان الذي تواجد فيه الشخص . ومن هذا يتضح تحويل (منذ ، ومذ) من معنى الاسمية إلى معنى الحرفية .

ومثل ذلك التحويل في نحو : " (إذ ما) مركبة من (إذ) التي هي ظرف لما مضى من الزّمان ، و (ما) ، وأحدث التركيب فيها أنْ نقلها إلى الحرفية ، وإلى أنْ صارت تعطي الزّمان المستقبل ، وذهبت دلالتها على الزّمان الذي كانت تدلُّ عليه "[٣٩] . فلفظ (إذ) ظرف زمان في أصل وضعه بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ١٦ ﴾ [الكهف] . فإذ في هذه الآية ظرف لما مضى من الزمان ، وهذا أصلها أنْ ترد في باب الظروف ، ولمّا زاد المتكلم عليها (ما) حُوِّلت إلى حرف شرط جازم لفعلين (فعل الشرط وجوابه) على نحو قولك : إذ ما تدرس تنجح ، وهذا ما أدخلها في باب الحروف التي تجزم فعلين ، ومن ثمَّ تغيّرت دلالتها من المضي إلى المستقبل ، وحُوِّلت من معنى الاسمية إلى معنى الحرفية .

القسم الثالث : تحويل معنى الحروف إلى معنى الأسماء

يتخذ هذا القسم حالة معاكسة للقسم السابق ، فحوِّلت فيه الألفاظ من معنى الحرفية إلى معنــى الاسميــة ،

فيكتسب اللفظ مسائل الأسماء ، وخصائصها ، ويفقد حينئذٍ مسائل الحروف ، وخصائصها . وتجلت المعاني المحوَّلة في هذا القسم في نحو قولهم : " وصالياتٍ ككما يؤثفين ، فعلوا ذلك ؛ لأنَّ معنى الكاف معنى مثل "[٤٠] . إنَّ الأصل فيما هو متعارف عليه عند النحويين أنَّ (الكاف) وضعت للحرفية للدلالة على التشبيه ، وقد تخرج عن هذا المعنى إلى معنى جديد ، وذلك عندما جُعلـت بمعنــى الاســم في الاستعمــال (ككما) ففي هذا التركيب أنَّ الكاف الأولى هي حرف عامل الجر بما بعده بدليل أنَّ حرف الجرّ لا يدخل على حرف الجرّ . في حين جعل الكاف الثانية اسم بمعنى (مثل) ، أي مثلما يؤثفين ، فصارت اسمًا مجرورًا بالكاف الأولى ، وهذا

التغاير أخرجها من باب الحرفية ، فأفقدها خاصية البناء ؛ لأنَّ الحروف من المبنيات ، وأدخلها في باب الأسماء المجرورة ، وجعلها معربة مجرورة . لذا خرجت عن معنى الحرفية إلى معنى الاسمية .

ومثل ذلك خروج الحرف (على) من باب الحرفية إلى باب الاسمية ، وذلك في قولهم : " فإنْ دخل عليها (مِنْ) فهي اسم ؛ لأنَّ حرف جر لا يدخل على حرف جر ، فتقول : جئت مِنْ على يمينك "[٤١] . إنَّ أصل (على) من الحروف الجارة لمّا بعدها ، وذلك نحو قوله تعالـــى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى٥ ﴾ [طه] . فجاء العرش مجرورًا بحرف الجر على الدال على الاستعلاء. وعندما جاء (على) في الاستعمال مسبوقًا بحرف آخر ، نحو : جئت من على يمينك ، أي : جئتُ من ناحية يمينك ، فحوِّل عن الحرفية ؛ لأنَّ دخول حرف الجرّ على آخر في الاستعمال يفقده الحرفية ؛ لأنَّ الحرف السابق للحرف اللاحق لا بدَّ أنْ يعمل الجر فيه ، فصار (على) اسمًا مجرور بمن . فتمّ تحويله من معنى الحرفية إلى معنى الاسمية .

والأمر نفسه مع حرف الجر (عن) فهو محوَّل عن أصله الحرفيّ إلى معنى جديد اكتسبه من السياق التركيبي الذي نظمه المتكلم ، وهو الاسمية ، وذلك في قولهم : " فأمّا (عن) ، فتكون اسمًا ، كما تكون حرفًا ، فإذا كانت اسمًا دخل عليها حرف الجر ، فكانت بمعنى (الناحية) ، وما بعدها مجرور بالإضافة ، قال ذو الرُّمّة :

فقلتُ : اجعلي ضوء الفراقد كُلّها يمينًا ومهوى النَّسرِ مِن عن شمالكِ[٤٢]

وقال آخر :

جرّت عليها كلُّ ريح سيهوج من عن يمين الخط أو سماهيج "[٤٣]

يأتي الحرف (عن) على أصله في أغلب الاستعمالات ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا٤٨ ﴾ [البقرة] . فلفظة النفس جاءت مجرورة بالحرف (عن) الدال على معنى البدل، أي : لا تجزي نفس بدل نفس ، وهذا هو الأصل . وما ورد في الاستعمالات السابقة (من عن شمـالك، أي : من ناحية شمالك)، و(من عن يمينك ، أي من ناحية يمينك)، هي تحويلات عن المعنى الأصلي

الحرفية إلى معنى الاسمية ؛ لأنَّ هذا اللفظ رُكّب مع حرف آخر سابق له ، ولمّا سبقه حرف جر جاء مجرورًا به ؛ فأخرجه حينئذٍ عن باب الحرفية .

ويتحقّق التحويل في لفظ (حاشا) الذي نجده في باب الاستثناء على أنَّه حرف يجرّ المستثنى بعده ، في نحو : الطالباتُ ناجحاتٌ حاشا المهملةِ ، فالمهملة هنا مستثنى من الطالبات مجرور بالحرف حاشا ، وحاشا : " تكون تنزيهية ، نحو : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ٣١ ﴾ [يوسف] ... والصحيح أنَّها اسم مرادف للبراءة من كذا ، بدليل قراءة بعضهم : ﴿ حَاشًا لِلَّهِ ﴾ بالتنوين ، كما يقال : (براءةٌ لله من كذا) ، وتكون للاستثناء ، فذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنَّها حرف دائمًا بمنزلة (إلّا) ، لكنَّها تجر المستثنى "[٤٤] . وعلى هذا الرأي خرجت حاشا عن أصلها الحرفية إلى المفعولية المطلقة ؛ لأنَّ حاشا في : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ مفعول مطلق دالّ على التنزيه الخالص ، أي أنَّه تنزيه لله سبحانه وتعالى من أيِّ عيب . فحاشا هنا حوِّلت عن بابها ، وهو (باب الحروف) إلى باب الأسماء المنصوبة (المفعول المطلق) .

القسم الرابع : تحويل معنى الحروف إلى معنى الأفعال

هذه حالة أخرى من أقسام التحويلات التي تخرج الحروف عن أصولها ومعانيها التي وضعت لها ، فجاء اللفظ محوَّلًا عن أصله في قولهم : " قد تكون حاشا " فعلًا متعدّيًا متصرفًا ، تقول : حاشيتُهُ ، بمعنى استثنيتُهُ ، ومنه حديث الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : (أسامةُ أحبُّ الناسَ إليَّ ما حاشى فاطمة) "[٤٥]. أُشير سابقًا أنَّ أصل (حاشا) حرف جارّ للمستثنى ، وهذا ما ذهب إليه سيبويه ، وأغلب البصريين[٤٦] ، ولهذا نجدها مصنفة تحت باب حروف الجرّ . ولوحظت في سياقات محوَّلة عن هذا الأصل ، فجاءت فعلًا بمعنى (استثنيته ، أو أستثني) وذلك في قول الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : (... ما حاشى فاطمة) ، فما هنا نافية وليست موصولة كما توهم بعضهم ، والمعنى : أنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يستثنِ فاطمة (عليها السلام)، ولا غيرها في هذا السياق . فعُدّت حاشا فعلًا متصرفًا رافعًا للفاعل المستتر (هو) الذي يعود على الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وناصبًا للمفعول به فاطمة . وعليه خرجت (حاشا) عن معنى الحرفية .

الخاتمة

المعنى هو تصورات يكوّنها الذهن عن الأشياء التي يعرفها الإنسان، ويجعل لها ألفاظًا منطوقة ومن أقسام المعاني المعنى النحوي الذي يمثل الأبواب النحوية المختلفة التي هي مجال هذه الدراسة حين تُجرى تحويلات على هذا المعنى، فينتقل من باب إلى آخر؛ لأنَّ الألفاظ في الجمل والتراكيب تتمتع بحركة مرنة يُثمر عنها التحويل، وهذا التحويل يحصل بفعل المتكلم هدفه الوصول إلى معنى نحوي جديد مغاير للمعنى الأول " ربَّما أنَّ المعنى الأصل لا يسعف المتكلم ، فيعمد حينئذٍ إلى التحويل " ؛ وذلك بتفعيل سلطته على تلك الألفاظ المكوّنة للجمل والتراكيب ، شرط أنْ تكون ذات قدرة على التحويل من معنى إلى آخر . بمعني أنَّ ألفاظ الجمل والتراكيب قابلة للتطور والنمو من معنى نحوي أصيل إلى معنى نحوي جديد. وتبيّن أنّ التحويل في المعنى النحوي المفرد يأخذ أقسامًا : القسم الأول : تحويل معنى الأسماء إلى معنى أسماء أخرى. ويشمل : تحويل معنى الأسماء المرفوعة إلى معنى الأسماء المنصوبة، وتحويل معنى الأسماء المنصوبة إلى معنى الأسماء المرفوعة، وتحويل معنى الأسماء المنصوبة إلى معنى الأسماء المجرورة، وتحويل معنى الأسماء المنصوبة إلى معنى الأسماء المبنية، والقسم الثاني : تحويل معنى الأسماء إلى معنى الحروف. والقسم القسم الثالث : تحويل معنى الحروف إلى معنى الأسماء، والقسم الرابع : تحويل معنى الحروف إلى معنى الأفعال، وأكثر التحويلات في القسم الأول، وتقلّ في الأقسام الباقية. لأنّ الأسماء يقوم بعضها مقام الآخر، وتتنقل فيما بينها في المعاني النحوية داخل النظام النحوي العربي.

الهوامش

(١) معجم التعريفات ، الجرجاني : ١٨٤ . ١٨٥ .

(٢) معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، د. محمد سمير نجيب : ٧١ . والشيء يشمل المعنى النحوي، و((سيبويه عدّ مكونات اللغة نفسها أشياء)). مفهوم الشيء وأثره في بناء الجملة العربية معرفيًا عند سيبويه . د. علي جاسب : ٤٢٩.

(٣) من الأنماط التحويلية في النحو العربي ، د. محمد حماسة : ١٣ .

(٤) تجديد النحو العربي وفق منهج عربي جديد ، أعمال ندوة تيسير النحو (٢٣ . ٢٤ / ٢٠٠١) : ٣٠٥ . وأشار الدكتور عدنان عبد الكريم جمعة إلى أهمية السياق في التحويل ونقل المعنى وهو يمثل إجراء أسلوبي يجدد المعاني. ينظر : جوانب من دلالة السياق في النص القرآني عند د. تمام حسان. بحث منشور :١٣.

(٥) ينظر : الكتاب ، سيبويه : ٣٣/١ .

(٦) ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين : ٦٨ .

(٧) الكتاب : ٢٤/١ .

(٨) المصدر نفسه : ١٣٣/٢ .

(٩) ينظر : منحة الوهاب في شرح ملحة الإعراب ، يوسف منصور الصلاحي : ١٥٥ .

(١٠) ينظر : الكتاب : ٨٦/٢ ـ ٨٧ .

(١١) ينظر : المصدر نفسه : ٨٧/٢ .

(١٢) المصدر نفسه : ٧٩/١ .

(١٣) الأصول في النحو : ٩٩/١ .

(١٤) ينظر : الكتاب : ١٣٨/١ .

(١٥) ينظر : شرح ألفية ابن مالك ، الحازمي : ٧/٥٠ .

(١٦) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ١٠٧ .

(١٧) الكتاب : ٤٢/١ .

(١٨) المصدر نفسه : ١٤٢/١ .

(١٩) ينظر : المصدر نفسه : ٣٢٠/١ .

(٢٠) المصدر نفسه : ٣٢٠/١ .

(٢١) المصدر نفسه : ٣٧٦/١ .

(٢٢) منحة الوهاب في شرح ملحة الإعراب : ١٦٦ . تتنوّع المعاني النحوية التي يتحوّل إليها استعمال الظروف كالخبر والنعت والحال والمضاف إليه وغيرها. ينظر : أثر الظرف في تكوين الجملة . د. محمد عبد الله المالكي. مجلة آداب البصرة ، العدد ١٠١. السنة ٢٠٢٢ : ٢٩.

(٢٣) المصدر نفسه : ١٢٢ .

* وهو شاعر مخضرم ، وراجز أدرك الجاهلية والإسلام ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء : ٣٩٨.

* نلحظ في هذا الاستعمال تحويلًا ، فلفظة فحشاء جاءت محوَّلة فهي إمّا منصوبة على نزع الخافض ، أي : ينطق بالفحشاء ، وإمّا على أنَّها محوَّلة من المضاف إليه ، أي : لا ينطق نطق الفحشاء ،

فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ويمكن أنْ تكون مفعولًا به للفعل ينطق ؛ لأنَّ النطق بالفحشاء فحشاء . ينظر : حاشية الصبان ، محمد بن علي الصبان : ٢٤٤/٢.

(٢٤) الكتاب : ٣١/١ .

(٢٥) منحة الوهاب في شرح ملحة الإعراب : ١٦٦ .

(٢٦) الأصول في النحو : ١٨٨/١ .

(٢٧) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٢٨) الإيضاح العضدي ، أبو علي الفارسي : ١٦٥ .

(٢٩) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين ابن عقيل : ٣٠٤/٣ .

(٣٠) المصدر نفسه : ٣٠٣/٣ .

(٣١) ينظر : منحة الوهاب في شرح ملحة الإعراب : ١٢٢ .

(٣٢) تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١٥٩/٦ .

(٣٣) شرح كافية ابن الحاجب ، ابن جماعة : ٢١٦ .

(٣٤) الكتاب : ٤٢١/١ . ٤٢٢ .

(٣٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام : ٢٣٢/٤ ، ٢٣٤ . ٢٣٥ . وينظر : معجم القراءات : ١١/٦ ـ ١٢ . ونسب البيت لجندل بن عمرو في الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي : هامش/٣٠٧ . وبلا نسبة في شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي : ٣١٢ .

(٣٦) تفسير التحرير والتنوير : ٣٥/١٧ .

(٣٧) شرح ابن عقيل : ٣٠٣/٣ .

(٣٨) كتاب البيان في شرح اللمع ، ابن جني : ٢٥٧ .

(٣٩) الأشباه والنظائر في النحو ، السيوطي : ٢١٣/١ .

(٤٠) الكتاب : ٣٢/١ .

(٤١) كتاب البيان في شرح اللمع : ٢٤٩ .

(٤٢) ديوان ذي الرُّمة : ١٩٣ .

(٤٣) أسرار العربية ، الأنباري : ١٩٠ . والبيت نسب لرجل من بني سعد ، ينظر : أمالي ابن الشجري ، هبة الله العلوي : ٥٨٤/٢.

(٤٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢٥٢/٢ . ٢٥٣ ، ٢٥٦ .

(٤٥) المصدر نفسه : ٢٤٩/٢ .

(٤٦) ينظر : المصدر نفسه : ٣٥٦/٢ . وينظر : الكتاب : ٣٠٩/٢ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ . أثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر ، ط١ ، القاهرة - مصر (١٩٩٨م) .

٢ . أسرار العربية ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق وتعليق بركات يوسف هَبُّود ، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت - لبنان (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

٣ . الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق عبد العالم سالم مكرم ،
مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، بيروت - لبنان (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).

٤ . الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن سهيل ابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، بيروت - لبنان (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٥ . أمالي ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت ٥٤٢ هـ) ، تحقيق ودراسة د. محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، القاهرة - مصر (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .

٦ . الإيضاح العضدي ، أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، حققه وقدم له د. حسن شاذلـــي فرهـــود ، ط١ ، الرياض - السعودية (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) .

٧ . تفسير التحرير والتنوير المعروف بـ " تفسير ابن عاشور " ، أ. الشيخ محـمد الطاهـــر ابن عاشـــور (ت ١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ ، بيروت - لبنان (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) .

٨ . الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، و أ. محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ـ لبنان (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) .

٩ . حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، محمد بن علي الصّبّان (ت١٢٠٦هـ) ، ومعه شـــرح الشواهد للعيني ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، ط١ ، بيـــروت ـ لبنـــان (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) .

١٠ . دلائل الاعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، القاهرة ـ مصر (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م) .

١١ . ديوان ذي الرُّمّة ، اعتنى به وشرح غريبه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، ط١ ، بيروت ـ لبنان (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) .

١٢ . شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (ت ٧٦٩هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عب الحميد ، دار التراث ، ط٢٠ ، القاهرة ـ مصر (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) .

١٣ . شرح ألفية ابن مالك ، أحمد بن عمر الحازمي ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net .

١٤ . شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق أحمد أمين ، و عبد السلام

محمد هارون ، دار الجيل ، ط١ ، بيروت ـ لبنان (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) .

١٥ . شرح كافية ابن الحاجب ، بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) ، تحقيق وتعليق د. محمد محمد داود ، دار المنار للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة - مصر (٢٠٠٠م) .

١٦ . الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، القاهرة - مصر (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

١٧ . كتاب البيان في شرح اللمع ، ابن جني ، إملاء الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت ٥٣٩هـ) ، دراسة وتحقيق د. علاء الدين حموية ، دار عمّار للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) .

١٨ . معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(ت ٨١٦هـ) ، تحقيق ودراسة محمد صدِّيق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، (د . ط) ، القاهرة - مصر (١٣٥٧هـ - ٢٠٠٤م) .

١٩ . معجم الشعراء ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٢٩٧هـ) ، تحقيق د. فاروق سليم ، دار صادر ، ط١ ، بيروت - لبنان (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م) .

٢٠ . معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، د. محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، بيروت - لبنان (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

٢١ . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق وشرح د. عبد اللطيف محمد الخطيب ، التراث العربي ، ط١ ، الكويت (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .

٢٢ . من الأنماط التحويلية في النحو العربي ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، القاهرة - مصر (١٩٩٠م) .

٢٣ . منحة الوهاب في شرح ملحة الإعراب ، يوسف منصور الصلاحي ، مكتبة الجيل الجديد ، ط١ ، صنعاء ـ اليمن (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) .

البحوث

١ . تجديد النحو العربي وفق منهج عربي جديد ، د. عبد الجبار توامى ، أعمال ندوة تيسير النحو (٢٣ ـ ٢٤) ، منشورات المكتبة المجلس الأعلى للغة العربية ، المكتبة الوطنية ، الحامة ـ الجزائر (٢٠٠٣م) .

٢. جوانب من دلالة السياق في النص القرآني عند د. تمام حسان. بحث منشور في مجلة حولية المنتدى . العراق. العدد٦- السنة ٢٠١٦. الرابط الألكتروني https://www.iasj.net/iasj/article/

٣. أثر الظرف في تكوين الجملة . د. محمد عبد الله المالكي. مجلة آداب البصرة ، العدد ١٠١. السنة ٢٠٢٢. الرابط الألكتروني https://www.iasj.net/iasj/download/

٤. مفهوم الشيء وأثره في بناء الجملة العربية معرفيًا عند سيبويه ، د. علي جاسب عبد الله ـ مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية. العدد٣، المجلد ٤٥. السنة٢٠٢٠. الرابط الألكتروني https://www.iasj.net/iasj/download